إعجاز القرآن الكريم في مجالات العلوم الاجتماعية
مع التطبيق على آيات تشريع الميراث

دكتور رفعت السيد العوضي
كلية التجارة – جامعة الأزهر

مقدمة

أيد الله سبحانه وتعالى رسله الذين أرسلهم بمعجزات ، وذلك لتكون المعجزة حجة على قوم الرسول الذين دعاهم إلى تصديقه في أن الله سبحانه أرسله إليهم برساله منه. ويتفق العلماء على أن معجزات الرسل الذين سبقوا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هي معجزات مادية ، وذلك مثل أن النار لم تحرق نبي الله إبراهيم عليه السلام.

القرآن الكريم هو المعجزة التي أيد الله سبحانه وتعالى بها رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم، والقرآن الكريم كتاب يقرأ، وهو بهذا معجزة معنوية. ومجئ معجزة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم كتابا يقرأ لتكون مناسبة لطبيعة رسالته العالمية زماناً ومكاناً، وبحيث يستطيع كل جيل أن يجد في القرآن الكريم أمرا معجزا يقوم دليلاً على صدق محمد صلى الله عليه وسلم في دعوته أنه رسول الله أرسله برسالة إلى الناس عامة في كل زمان ومكان.

المعجزة هي أمر خارق للعادة ونحن الآن نعيش عصر العلم ، وإن هذا هو المجال الذي برع الناس فيه في هذا الزمان. هذا التفوق العلمي لزمننا هو الوعاء الذي حمل الدعوة إلى الحديث عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم على النحو الذي نعيشه الآن.

البحوث الأولى عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في زمننا قصرته على الإعجاز فى العلوم المعملية ، و لم تقبل بحوث في الإعجاز في العلوم الاجتماعية لمدة تزيد على ثلاثين عاما. ولكن بحمد الله سبحانه وتعالى تم الاعتراف بهذا النوع من الإعجاز وتم اعتماده في المؤسسات العاملة في مجال الإعجاز العلمي.

هذا البحث الذي أقدمه هو في هذا النوع من الإعجاز العلمي، أي الإعجاز القرآني في العلوم الاجتماعية. وهذا البحث يعمل على محورين رئيسيين. المحور الأول هو التعريف بالإعجاز

في العلوم الاجتماعية تأصيلاً وتأسيساً. أما المحور الثاني فهو بمثابة تطبيق على هذا النوع من الإعجاز وذلك بدراسة الآيات التي جاء فيها تشريع الميراث في سورة النساء.

بناء على معايشة حقيقية ومثمرة لعدد من السنوات للإعجاز القرآني في العلوم الاجتماعية اكتشفت أن المنهج الملائم لدراسته هو منهج علم المناسبة ، وهذا العلم هو أحد علوم القرآن الكريم الذي أسسه ونماه علماء الدراسات القرآنية. وقد أضفت إلى منهج علم المناسبة إضافة ساعدت على الحصول على نتائج إيجابية في دراسة الإعجاز القرآني في العلوم الاجتماعية وتتمثل هذه الإضافة في فكرة المنظومة. وسوف يتم التعرف على فكرة المنظومة وتوظيفها في إطار علم المناسبة في فقرات البحث.

تأسسا على ما سبق فإن هذا البحث سوف يتضمن المباحث التالية:-

المبحث الأول: تأصيل وتأسيس الإعجاز في العلوم الاجتماعية

المبحث الثاني: الإعجاز القرآني في تشريع الميراث وتوظيفه في مجالات العلوم الاجتماعية – الإعجاز في المنظومة

المبحث الثالث: تشريع الميراث والأمور الخارقة للعادة في مجالات العلوم الاجتماعية.

المبحث الأول تأصيل وتأسيس الإعجاز في العلوم الاجتماعية

تمهيد

أناقش في هذا المبحث مجموعة من العناصر المتعلقة بالإعجاز في العلوم الاجتماعية، وهذه العناصر تؤصل للإعجاز في العلوم الاجتماعية من حيث الموضوع ومن حيث الضوابط ومن حيث علاقته بالإعجاز في العلوم المعملية .

يناقش هذا المبحث أيضا التاريخ الذي بدأت فيه الكتابة في هذا النوع من الإعجاز والمساهمات التي بدأ بها، وموقف المؤسسات العاملة في الإعجاز من هذا النوع من الإعجاز.

يحدد ما سبق المحاور الرئيسية في هذا المبحث ، ولكن مقتضيات البحث سوف تلزم بمناقشة عناصر أخري لها ارتباطها بهذا النوع من الإعجاز .

أولاً : القرآن الكريم وجه إلى الإعجاز في العلوم الاجتماعية :

يقول الله تعالي : (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ{53} أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاء رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ -54-) (فصلت) .

احتج بهاتين الآيتين علماء العلوم المعملية الذين اهتموا بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم في المجالات التي تعمل عليها هذه العلوم ولكن معايشة الآيتين تكشف عن أن القرآن الكريم وجه إلى الإعجاز في الآفاق وإلى الإعجاز في الأنفس. وكلا الأمرين وهما الآفاق والأنفس يعملان علي العلوم المعملية وكذلك علي العلوم الاجتماعية.

قد تكون الآفاق أكثر ارتباطاً بالعلوم المعملية وفي مقابل ذلك فإن الأنفس أكثر ارتباطاً بالعلوم الاجتماعية. بسبب هذه النوعية من الارتباط سوف أركز الحديث في هذه الآية علي الإشارة الى يحملها قول الله عز وجل . (وَفِي أَنفُسِهِمْ) إلى العلوم الاجتماعية .

وردت كلمة نفس ، مفردة أو جمعاً في القرآن الكريم في (275) مائتين وخمسة وسبعين موضعاً. يتبين من معايشة الآيات التي جاءت فيها هذه الكلمة (نفس وأنفس) أن المعني الذي تعمل عليه في الغالب هو ما يدخل في المجالات التي تعمل عليها العلوم الاجتماعية ومنها الاقتصاد والتربية وعلم النفس. من هذه المواضع:

(وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ) (يونس54)

(وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) (يوسف53)

(أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) (الرعد33)

(وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا) (السجدة13)

(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى) (النازعات40)

(فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً) (النساء4)

(مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ) (النساء79)

(فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ) (الكهف6)

(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ) (الكهف28)

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ) (البقرة 207)

(وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً) (النساء 110) .

(وَمَن يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ) (النساء 111)

(قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ) (الأنعام : 104)

(فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ) (يونس : 108)

(وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ) (الكهف : 35)

(وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ) (فاطر : 18)

(فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا) (الزمر41)

(وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ) (محمد : 38)

(فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) (الفتح : 10)

(وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الحشر : 9)

(وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) (يوسف : 53)

(وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ) (النساء : 128)

(وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ) (البقرة : 284)

(بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً) (يوسف : 18)

(وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ) (فصلت : 31)

(فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ) (النجم : 32)

(وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ) (البقرة :265)

(ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ) (الأنفال :53)

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ) (التوبة : 55)

(لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ) (الأنبياء : 102)

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ) (الزمر : 53)

هذه بعض آيات القرآن الكريم التي جاءت بها كلمة نفس (مفردة أو جمعاً) والمعني القريب في هذه الآيات ينصرف الى المجالات التي تعمل عليها العلوم الاجتماعية .

يقول الله عز وجل :

(وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا{1} وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا{2} وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا{3} وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا{4} وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا{5} وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا{6} وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا{7} فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا{8} قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا{9} وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا{10} كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا{11} إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا{12}

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا{13} فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا{14} وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا{15})سورة الشمس.

الموضوعات التي تعمل عليها آيات هذه السورة تصنف في مجموعتين ، المجموعة الأولي تتعلق بالآفاق ، أما المجموعة الثانية فإنها تتعلق بالنفس . يمكن القول بأن المجموعة الأولي تشمل مجالات تعمل عليها العلوم المعملية في مقابل أن المجموعة الثانية تشمل مجالات تعمل عليها العلوم الاجتماعية .

اقتراح أن نعود الى آيتي سورة فصلت التي يقول الله عز و وجل فيهما :

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ{53} أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاء رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ -54-)

العلماء الذين آمنوا بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم في العلوم المعملية رأوا في هاتين الآيتين توجيهاً إلى هذا النوع من الإعجاز. استنادا إلى الآيات التي استضأنا بها وخاصة آيات سورة الشمس تكون آيتا سورة فصلت توجهان إلى الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في نوعي العلوم ، المعملية والاجتماعية .

يستنتج بناء علي ذلك أن القرآن الكريم وجه إلى وجود الإعجاز العلمي في العلوم الاجتماعية في نفس الآيتين اللتين وجه فيهما إلى وجود الإعجاز العلمي في العلوم المعملية .

ثانيا : الأمور الخارقة للعادة والجمع بين الإعجاز في العلوم الاجتماعية والإعجاز في العلوم المعملية .

تمهيد

أخصص هذه الفقرة لإعطاء شيء من التفصيل عن الأمور الخارقة للعادة (المعجزة) في مجال العلوم الاجتماعية . أما ما يدخل في الأمور الخارقة للعادة في مجال العلوم المعملية فإنه توجد عنه كتابات كثيرة . أرى أن ينظر إلى ما أكتبه في هذه الفقرة علي أنه يقيم رابطة بين نوعي الإعجاز ، الإعجاز في العلوم المعملية والإعجاز في العلوم الاجتماعية. الأفكار الرئيسية في هذه الفقرة تجمع في الآتي :

1- المعجزة هي الأمر الخارق للعادة ، ويعني ذلك إن هذا الأمر جاء علي غير ما اعتاده الناس وما ألفوه هم وآباؤهم . من الأمثلة التي تقال للتدليل علي ذلك أن النار لم تحرق نبي الله إبراهيم عليه السلام . إن ما اعتاده الناس هو أن النار تحرق ، ولما لم تحرق خليل الله إبراهيم عليه السلام فإن هذا جاء علي غير ما اعتاده الناس . وقد جرت إرادة الله سبحانه وتعالي أن يؤيد من يرسله برسالاته بهذه الأمور الخارقة للعادة لتقوم الحجة علي من يخاطبهم هذا الرسول برسالته أنه مرسل ومؤيد من عند الله سبحانه وتعالي .

2- دون أن نعود إلى العصور السابقة والمساهمات التي تمت حول موضوع الإعجاز العلمي نبدأ مع المحاولات الحديثة عن هذا الموضوع وهي محاولات ترجع إلى الثلث الأخير من القرن العشرين ، أي أنها

محاولات بدأت منذ حوالي خمسين عاماً . مراجعة هذه المحاولات بتنوعاتها العلمية وبتنوعاتها المؤسسية وبتنوعاتها النشاطية – هذه المراجعة تبين أمراً وتكشف عن أمر يستحق الوقوف عنده طويلاً وهو أن بعض المشتغلين بالإعجاز اعتبروا أن الأمور الخارقة للعادة العلمية تنحصر في العلوم المعملية ، أي العلوم التي تجري عليها تجارب في المعمل ، وذلك مثل العلوم الطبية وعلوم الأرض وعلوم الفضاء .... وهكذا .

3- القول بأن مصطلح العلوم عندما يطلق يعني به العلوم المعملية بالمعني الذي شرحته – هذا القول يحمل الرؤية الحضارية للثقافة الغربية . ومن الأمور التي تقوم دليلاً علي ذلك مصطلح أو مسمي كلية العلوم . في هذه الكلية تدرس تخصصات علوم الأرض وعلوم الفضاء وعلوم الحشرات وغيرها ، ومع أن هذه تخصصات علمية محدودة إلا أن الثقافة الغربية توافقت علي أن تسمي هذه الكلية بكلية العلوم .

4- أتكلم في هذا الموضوع بحذر شديد ، ذلك أنني لا أعني بأي حال من الأحوال أن أقول إن الذين يعتبرون الأمور الخارقة للعادة العلمية قاصرة علي العلوم المعملية أنهم يفعلون ذلك اعتقادا في صحة الثقافة الغربية . فى هذا الصدد أقول أنه من الخطورة أن يتم التعامل مع الوعاء الثقافي العالمي المعاصر علي أنه مسلمة بينما هذا الوعاء يحمل إسقاطات ثقافة الحضارة الغربية فيما يتعلق باستخدام مصطلح العلوم .

5- في هذا السياق من المفيد التذكير بأمر اشترك مع غيري في ضرورة الاهتمام به وهو أن كلا من المصطلحات والمفاهيم تحمل قيما ، وهذه القيم تنتقل من حضارة إلى حضارة .

6- الرأي الذي أتبناه وأعرف به وأدعو إليه هو أن الأمور الخارقة للعادة تشمل أو توجد في نوعي العلوم ، العلوم المعملية والعلوم الاجتماعية . وترتيباً علي ذلك يكون الإعجاز العلمي في نوعي العلوم ؛ العلوم المعملية والعلوم الاجتماعية .

7- مصطلح الأمور الخارقة للعادة (الاجتماعية) أعطي عنه أمثلة، العادة الاجتماعية تشمل ما يلي :

أ- تشمل العادة الاجتماعية النظم التي يعيش فيها الإنسان .

ب-يدخل في العادة الاجتماعية مستوي المعرفة الذي عليه الإنسان .

ج- يدخل في العادة الاجتماعية الوعاء المعرفي الذي يضع الإنسان فيه فكره .

د- يدخل في العادة الاجتماعية ما عليه الإنسان من حقوق وواجبات .

ه- يدخل في العادة الاجتماعية موقف الإنسان من الآخر .

و- يدخل في العادة الاجتماعية الحالة الحضارية التي عليها الإنسان .

ز- يدخل في العادة الاجتماعية موقف الإنسان من حضارة الآخر تفاعلاً أو تصادماً.

ح- يدخل في العادة الاجتماعية موقف الإنسان من الأسرة إيجابا أو سلباً .

8- الأمور الخارقة للعادة توجد في كل العلوم

من المتفق عليه أن المعجزة أمر خارق للعادة وهذا الأمر الخارق للعادة يوجد في جميع مجالات العلوم ؛ العلوم المعملية والعلوم الاجتماعية. ولهذا يكون قصر الأمور الخارقة للعادة علي العلوم المعملية خطأ ، وهو خطأ يحمل خطراً لأنه يعني أن الله سبحانه أيد رسله بأمور متعلقة بالكيمياء والفيزياء وغيرهما من العلوم المعملية .والتسليم بهذا الأمر يعني أن الأمور المنظمة لحياة الناس التربوية والاقتصادية والسياسية وغيرها ليست من المجالات التي تعمل عليها المعجزات التي أيد بها الله سبحانه رسله . الأمور الخارقة للعادة توجد في مجالات جميع العلوم، المعملية والاجتماعية. هذا الأمر لا يحتاج إلى دليل وذلك لأنه من المعلوم من الدين بالضرورة

9- في هذا السياق من المفيد الإشارة إلى شيء عن دور المعمل ودور النظام الاجتماعي في الحياة . الأديان شرعها الله سبحانه لإصلاح الحياة، والمعمل بالتجربة التي تجري فيه أداة من أدوات إصلاح الحياة. لكن الحياة الحقيقية تتحقق عندما يوجد المعمل مع نظام في التربية وفي الاقتصاد وفي السياسة وفي الاجتماع . ولا يتصور عقلا أن نقصر المعجزات علي الأداة وهي المعمل ونهمل النظام الاجتماعي .

في هذا الصدد من المفيد أن أذكر أن المجتمعات التي أسست رؤيتها الحضارية علي المعمل وعلي إنجازاته وحدها يعاني الإنسان فيها ومعها بؤسا متعلقا بالنظم الاجتماعية والقيم وذلك بالرغم من وفرة الرفاهية المادية .إن هذا الأمر درس في التاريخ الحضاري يقول إن الحياة الصحيحة توجد في نظام يهنأ فيه الإنسان تربوياً ويهنأ فيه اجتماعيا ويهنأ فيه سياسياً ويهنأ فيه اقتصادياً ويتعاون مع ذلك معمل . هنا وهنا فقط تعمل الرسالات التي أرسل الله سبحانه بها رسله .

كلمة خاتمة : المعجزة باعتبارها أمرا خارقاً للعادة مجالها كل من العلوم الاجتماعية والعلوم المعملية .

10- فهم الأمور الخارقة للعادة علي هذا النحو ، أي علي أنها توجد في كل من المعمل والنظام الاجتماعي، هذا الفهم يقيم رابطة عضوية بين كل من الإعجاز في العلوم المعملية والإعجاز في العلوم الاجتماعية، إن كلا من نوعي الإعجاز يتأسس علي أمر خارق للعادة ، هذا جانب. وجانب ثان في هذا الأمر وهو أن كلا من المعمل والنظام الاجتماعي تقوم عليهما الحياة مجتمعين ولا يتصور قيام حياة صحيحة وحقيقية بأحدهما دون الآخر. وجانب ثالث في هذا الأمر وهو أن الإسلام باعتباره الرسالة الخاتمة التي أراد الله سبحانه بها إصلاح الحياة مؤيد بالأمر الخارق للعادة في كل من المعمل والنظام الاجتماعي .

ثالثا : في منهجية الإعجاز في العلوم الاجتماعية وضوابطه:

تمهيد

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة علم ، والعلوم تخضع لمنهجية علمية . هذا قول علي نحو عام . وأما علي نحو خاص فإن المنهجية العلمية في الإعجاز لها طبيعتها ، وذلك لأن هذا الموضوع يتعامل مع وحي من الله سبحانه وتعالي . كما أن هذا العلم يجب أن يخضع لضوابط بهذه المنهجية

الخاصة، وبهذه الضوابط يحفظ الإعجاز ويستبقي في إطار الإسلام ويحفظ ويستبقي متلائما ومتفاعلا مع علوم الإسلام .

من حيث منهجية البحث.

1- أعرض أحد عناصر هذه المنهجية، والعنصر الذي اقترح عرضه هو المتعلق بعلم المناسبة . وهذا العلم هو أحد علوم القرآن الكريم. وعلماء الدراسات القرآنية أصلوا هذا العلم وقدموا به تفسيرا للقرآن الكريم ، وهؤلاء العلماء بما كتبوه حددوا المنهجية في علم المناسبة .

2- معايشة الإعجاز في العلوم الاجتماعية أعطت توجيها محدداً وهو أن الكشف عن إعجاز القرآن الكريم في مجالات العلوم الاجتماعية يجب أن يتم من خلال علم المناسبة وبمنهجه . والبحوث التي قدمت عن هذا النوع من الإعجاز وأصبح لها قبولها هي البحوث التي درست موضوعات هذا الإعجاز بعلم المناسبة وبمنهجه

3- لم تقدم دراسات عن إعجاز القرآن الكريم في العلوم المعملية بتوظيف علم المناسبة. والاقتراح الذي أتقدم به هو ضرورة إعمال علم المناسبة بمنهجه في هذا الفرع من فروع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم .

من حيث ضوابط البحث في العلوم الاجتماعية .

1- الدراسات في الإعجاز في العلوم المعملية سبقت الدراسات في الإعجاز في العلوم الاجتماعية، ولكن هذا الأمر موضوع تحت تحفظ وهو أن هذا السبق حدث في الثلاثين عاما الأخيرة عندما ظهر الحديث عن الإعجاز العلمي . ولماذا أضع هذا التحفظ؟ ذلك لأنه ثبت أن الحديث عن الإعجاز في القرآن الكريم منذ أن بدأ مع العلماء الأوائل في الدراسات القرآنية – هذا الحديث تضمن الكلام عن فرعي الإعجاز ، الإعجاز في المجالات التي تعمل عليها العلوم الاجتماعية والإعجاز في المجالات التي تعمل عليها العلوم المعملية . بسبب سبق الكتابة عن الإعجاز في المجالات التي تعمل عليها العلوم المعملية وذلك في السنوات الأخيرة فإن هذا الفرع من فروع الإعجاز وضعت ضوابط للكتابة فيه.

البحث عن ضوابط للإعجاز القرآني في العلوم الاجتماعية يجب أن يكون مربوطاً مع كل الدراسات السابقة عن هذا الموضوع . هذا أمر مسلم به ويحال علي وجه الخصوص الى الدراسات الحديثة عن قواعد البحث في الإعجاز العلمي التي اتفق عليها الباحثون في العلوم المعملية . والتحفظ الذي يرد هو أن بعض هذه القواعد قد يكون لها خصوصيتها بالعلوم المعملية ، ولذلك يؤخذ هذا في الأعتبار .

هذا التمهيد السابق يتيح التقدم لعرض ضوابط الإعجاز القرآني في العلوم الاجتماعية التي يقترحها البحث وهي الضوابط التالية :

1- أن يكون الإعجاز الذي يستنتج صحيحاً من ناحية العلوم العربية وكذلك من حيث الأصول الدينية .

2- لا يستهدف البحث عن التطابق بين النظريات التي قال بها علماء العلوم الاجتماعية وما جاء في القرآن الكريم ، وإنما المستهدف إخضاع البحث في العلوم الاجتماعية لما جاء في القرآن الكريم . هذا الضابط أو هذه القاعدة ترد علي الاعتراض الذي يمكن أن يرد من أن العلوم الاجتماعية ليس بها حقائق علي النحو الذي يوجد في العلوم المعملية .

3- الإعجاز القرآني في العلوم الاجتماعية يجب أن يخضع بيقين للضابط التالي : الله – سبحانه وتعالي – هو خالق الإنسان وهو سبحانه القادر علي الكشف عن سلوكياته والسنن التي تحكمها . وهذه السلوكيات هي المجالات التي تعمل عليها العلوم الاجتماعية وتصوغها في قوانين ونظريات ، ولذلك يكون ما جاء في القرآن الكريم عن هذه السلوكيات هو الضابط الحقيقي لها ، وفي ضوء ذلك تنظر العلوم الاجتماعية بقوانينها ونظرياتها .

4- البحث في الإعجاز القرآني في العلوم الاجتماعية ينطلق من المسلمة التالية : يؤسس القرآن الكريم النموذج الأمثل للحياة الاجتماعية بكل عناصرها ، اقتصاد وإدارة وسياسة وتربية ...... ولذلك فإنه عندما تعمل الحياة الاجتماعية وفق النموذج القرآني تتطابق القوانين والنظريات التي يقول بها علماء العلوم الاجتماعية مع ما جاء في القرآن الكريم .

5- يقال إنه لا توجد حقائق قطعية الثبوت في العلوم الاجتماعية ، هذا القول سببه قصور في إدراك الإنسان لاكتشاف العوامل التي تحدد سلوكيات الإنسان، وهذا القصور ليس وارداً علي ما جاء في القرآن الكريم . يعني ذلك أن البحث في الإعجاز القرآني في العلوم الاجتماعية ينطلق من مسلمة هي أن العلوم الاجتماعية بها حقائق وأن القرآن الكريم هو الذي يكشفها . ويترتب علي ذلك أن دراسات الإعجاز القرآني في العلوم الاجتماعية سوف ترقي بهذه العلوم بحيث تصبح فيها حقائق ثابتة .

6- تكلم القرآن الكريم في كثير من آياته عن السنن الإلهية ، وهذه السنن ليست قاصرة علي المجالات الكونية وإنما تشمل ما يتعلق بالإنسان من كل جوانبه الاقتصادية والإدارية والتربوية والسياسية وغيرها . هذه السنن مرشدة للإنسان إلى وجود قوانين علمية في المجالات الاجتماعية ، وبجانب ذلك فإنها موجهة إلى المجالات التي يمكن أن توجد بها حقائق تحكمها سنن إلهية أو تصاغ في قوانين علمية .

رابعاً : أهمية إعجاز القرآن الكريم في العلوم الاجتماعية

1- تصنف العلوم إلى مجموعتين : علوم اجتماعية وعلوم معملية، وكلا النوعين من العلوم له مجاله الذي يعمل فيه . فيما يختص بالعلوم الاجتماعية فإن مجالها الإنسان من حيث تفسير سلوكه ، وتحديد

احتياجاته ، والبناء الاجتماعي الذي يتفاعل فيه ، وتطوره الاجتماعي .العلوم المعملية لها مجالها الذي تعمل عليه ، إنه يدخل فيها ما يخضع للتجربة المعملية ، ومن أمثلتها علم الكيمياء وعلم الطب وعلم النبات .

2- بسبب طبيعة المجال الذي يعمل عليه نوعا العلوم ، أو بسبب اختلاف طبيعة هذا المجال، فإنه يعتقد أن العلوم المعملية فيها حقائق ثابتة ، أو فيها قوانين ، بينما العلوم الاجتماعية وحيث لا توجد تجربة معملية فإنه لا توجد بها حقائق ثابتة أو قوانين .

3- التحيز من القضايا المثارة ضد العلوم الاجتماعية . (وجوهر مفهوم التحيز هو التمحور أو التمركز حول (الذات) والانغلاق فيها ورؤية (الآخر) من خلالها وقياساً عليها ، مما يعني نفي الآخر نفياً كاملاً خارج إطار التاريخ أو الوجود أو العلم والسعي نحو استبدال ماهيته أو هويته وإحلالها بمحتوي يتفق ومعطيات (الذات) وأهدافها ، وذلك بالقضاء علي تفرده وخصوصيته وإعادة إدماجه في النسق الذي تري (الذات) المتميزة أنه الأمثل طبقاً لمنظورها للإنسان والكون والحياة، أو نسقها الفكري وعقيدتها ومثلها العليا)(1)

4- المحدودية من القضايا المثارة ضد العلوم الاجتماعية . وتعني المحدودية (إن أي إنتاج علمي وضعي منطلق من العقل والواقع البشري ومؤسس عليهما ومحدود بحدودهما لابد أن يلبس بخصوصيات هذا العقل وذلك الواقع بدرجة أو بأخرى) (2) .

5- عدم الانضباط من القضايا المثارة ضد العلوم الاجتماعية . ويرجع ذلك الى طبيعة الظواهر محل الدراسة . فظاهرة المجتمع الحي العاقل تختلف عن طبيعة المادة غير الحية وغير العاقلة ، فالقوي الفاعلة في المجتمع الحي لا تخضع في ظروفها وفي قياس إمكانات دورها واتجاهها بوحدات نمطية ولا لعلاقات نمطية بين هذه الوحدات (3) .

6- التعارض بين النظريات الاجتماعية من القضايا المثارة ضد العلوم الاجتماعية .(يبلور هذا التعارض من خلال إبراز نوع العوامل التي تستند إليها كل نظرية في تفسير التغيرات الاجتماعية . بعض النظريات تعتبر الذكاء الإنساني عاملاً حاسماً في إحداث التطور الاجتماعي بينما هذا الذكاء نفسه عند آخرين متغير تابع لعوامل أخري ، كالعامل الديني أو البيئي أو الاقتصادي أو الاجتماعي ... وفي الوقت الذي يجعل فيها للمذهب النفسي من الفرد سبباً وحيداً في إحداث كل تغيير اجتماعي وإنشاء كل ظاهرة اجتماعية ينمحي

---

(1) د/ نصر محمد عارف ، نظريات التنمية السياسية ، ضمن بحوث إشكالية التحيز . رؤية ودعوة للاجتهاد ، محور العلوم الاجتماعية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1418 هـ 1998م ، ص 178 .

(2) المرجع السابق ، ص 177 .

(3) عادل حسين ، التحيز فى المدارس الاجتماعية الغربية . تراثنا هو المنطلق للتنمية ، منشور في إشكالية التحيز، رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد ، محور العلوم الاجتماعية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1418 هـ ، 1998 م ، ص 106 .

الفرد في المذهب الاجتماعي ويصبح خاضعاً للقواعد الإلزامية التي تفرضها عليه الحياة الاجتماعية بشكل قسري) (4).

7- في إطار الحديث عن الإعجاز القرآني فإن العناصر التي ذكرت سابقاً عن العلوم الاجتماعية يمكن أن تعمل في اتجاهين . الاتجاه الأول هو رفض الحديث عن الإعجاز القرآني في هذا النوع من العلوم لأنه ليس بها حقائق ثابتة وتعاني من المحدودية والتحيز والتعارض وغير ذلك مما سبق بيانه . الاتجاه الثاني هو قبول الحديث عن الإعجاز القرآني في العلوم الاجتماعية . وهذا الاتجاه هو الذي يتبناه هذا البحث .

8- هذا البحث لا يقف عند حد قبول إعجاز القرآن الكريم في العلوم الاجتماعية وإنما يبشر به ويدعو إليه ويدعو إلى الإهتمام به . بل إن هذا البحث يري أن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم قسمة مشتركة بين العلوم المعملية والعلوم الاجتماعية .

9- تتعدد وتتنوع الأهداف والفوائد التي تتحقق من إثبات الإعجاز القرآني في العلوم الاجتماعية ومن التعريف به ومن قبوله ، ومنها ما يلي :

أ) إعجاز القرآن الكريم في العلوم الاجتماعية يعود بهذه العلوم الى الوحي وهذا مطلب إسلامي . هذه العلوم كما تعرض في المنهج الوضعي خرجت علي الوحي ، وقد خسرت بهذا الخروج بل خسرت الإنسانية معها .

ب) الفكر المعاصر قولب هذه العلوم في المنهج الوضعي ، وأحد شروط الإصلاح في هذه العلوم هو العودة بها الى المنهج المعياري . الإعجاز القرآني في هذه العلوم هو الذي يعود بها الى المعمارية .

ج) تعاني العلوم الاجتماعية من التحيز ومن التعارض ومن المحدودية ومن غير ذلك من إشكال القصور . الإعجاز القرآني وهو يعود بهذه العلوم الى الوحي فإنه يعالجها من كل أشكال القصور .

د)استورد العالم الإسلامي هذه العلوم بمنهجها ضمن الأشياء التي استوردها من العالم الغربي ، بينما هذه العلوم كما يعرضها الغرب بنظرياتها منحازة. إثبات الإعجاز القرآني في العلوم الاجتماعية والتعريف به وقبوله من الوسائل الرئيسية لأسلمة هذه العلوم علي الأقل في ديارنا الإسلامية .

ه)إعجاز القرآن الكريم في العلوم الاجتماعية يرقي بها الى الشمولية الكلية وبهذا يخلص هذه العلوم من النظرات الأحادية والجزئية التي عانت منها مع المنهج الوضعي .

---

(4) محمد محمد أزمان ، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1412 هـ 1991 م ، ص 115 .

و) إعجاز القرآن الكريم في العلوم الاجتماعية هو خير مرشد للإنسان لمعرفة ما هو ثابت في المجالات التي تعمل عليها هذه العلوم فيقبله (المعيارية) وما هو متغير فيكون مجال عمله ويعمل عليه (الوضعية) .

ز) يمكن إجمال الأهداف التي تتحقق من الإعجاز في العلوم الاجتماعية في الآتي : مساعدة الإنسان في اكتشاف الحقائق التي تفسر سلوك الإنسان وكذلك مساعدته في اكتشاف النظام الاجتماعي الأكفأ.

خامساً : بين الحكم الشرعي والإعجاز في العلوم الاجتماعية

تمهيد

الكتابة في الإعجاز في العلوم الاجتماعية كشفت عن إشكالية بين الكتابة عن الإعجاز والكتابة عن الحكم الشرعي . أخصص هذه الفقرة للتعريف بهذه الإشكالية ولتقديم بعض الرؤي بشأنها .

1- الإشكالية التي ظهرت بين الكتابة عن الإعجاز في العلوم الاجتماعية والكتابة عن الحكم الشرعي يجب أن يعرف تصنيفها وبحيث تعرف حقيقتها أو تعرف علي حقيقتها، إنها إشكالية تتعلق بتصنيف البحث هل هو بحث في الإعجاز أو بحث في الحكم الشرعي . بهذا التوضيح وبهذا الفهم يستبعد أن تفهم هذه الإشكالية علي أنها موضوعية تتعلق بصحة أحد طرفيها وهما الإعجاز أو الحكم الشرعي .

2- الإشكالية التي ظهرت بين بحوث الإعجاز في العلوم الاجتماعية والبحوث في الحكم الشرعي – هذه الإشكالية سببها أن بعض البحوث التي أعطي لها أصحابها عنوان الإعجاز وقدمت لمؤتمرات علمية أو لغيرها – هذه البحوث في حقيقة الأمر هي بحوث عن الحكم الشرعي أو في الحكم الشرعي ، بمعني أنها بحوث لبيان الحكم الشرعي ، وهي لذلك لا تدخل في بحوث الإعجاز في العلوم الاجتماعية . الوصول بالإشكالية الى هذا الحد يستلزم قول شئ عن طبيعة البحث في الحكم الشرعي وطبيعة البحث في الإعجاز والترتيب والتفاعل بينهما ، وكذلك الإسقاط السلبي علي موضوع الإعجاز بسبب هذه البحوث.

3- البحث في الحكم الشرعي له طبيعته من حيث مصادره ، وهذه المصادر كتب عنها علماء أصول الفقه ، وفيها مصادر متفق علهيا وهي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والإجماع ،وهذه المصادر تبين الحكم الشرعي من حيث الوجوب أو الندب أو الإباحة أو الكراهة أو التحريم . البحث في الحكم الشرعي موضوعه هو الكشف عن هذا الحكم .

4- في مقابل البحوث عن الحكم الشرعي أو بحوث في الحكم الشرعي تجئ البحوث في الإعجاز في العلوم الاجتماعية ، إنها بحوث لا يبحث فيها عن الحكم وإنما البحث فيها عن أن هذا الحكم من حيث طبيعته ومن حيث نتائجه جاء علي نحو يعجز الإنسان أن يأتي بمثله.

5- من حيث الترتيب بين الحكم الشرعي والإعجاز ، الإعجاز مؤسس علي الحكم الشرعي ، وبهذا فإنه يكون تاليا له . وزيادة في التوضيح : بعد معرفة الحكم الشرعي والموضوعات التي ربطت به ؛ أي جعلت في علاقة معه – بعد ذلك يجئ البحث عن الإعجاز ، أي يجيء عما إذا كان هذا الأمر جاء علي نحو خارق للعادة الاجتماعية أو العلمية ، أي علي نحو معجز ، .

6- توجد رابطة من نوع ما بين موضوع الإعجاز والموضوع الذي تكلم عنه الفقهاء تحت عنوان الحكمة . لاشك أن الإعجاز فيه معني الحكمة إلا أنه يتقدم بعد ذلك لمعان جديدة . ويمكن القول إن موضوع الحكمة يمكن أن يكون أحد منطلقات بحوث الإعجاز .

7- الإشكالية بين بحوث الإعجاز وبحوث الحكم الشرعي كان لها مظهر سلبي، وذلك لأن البحوث التي قدمت علي أنها بحوث في الإعجاز بينما هي في حقيقة الأمر هي بحوث في الحكم الشرعي – هذا الأمر أوجد موقفا سلبيا من بحوث الإعجاز في العلوم الاجتماعية علي وجه العموم، وذلك لأنه تسبب في وجود اعتقاد أن ما يكتب تحت عنوان الإعجاز في العلوم الاجتماعية هو في حقيقته كتابة عن الحكم الشرعي .

8- الإشكالية بين بحوث الحكم الشرعي وبحوث الإعجاز لا تتعلق بالإعجاز في العلوم الاجتماعية وحدها وإنما توجد في الإعجاز في نوعي العلوم ، العلوم الاجتماعية والعلوم المعملية. وذلك لأن البحث في الإعجاز في العلوم المعملية هو ترتيب مؤسس علي الحكم الشرعي أو ترتيب تال للحكم الشرعي . في هذا الحد من الفيد الإشارة إلى أن الحكم الشرعي يشمل الأحكام الاعتقادية والأحكام العملية والأخلاق .

سادساً : تاريخ الإعجاز في العلوم الاجتماعية

هذا البحث مخصص للإعجاز في العلوم الاجتماعية من حيث تأصيله وتأسيس علميته، ويستلزم البحث الإشارة – مجرد إشارة – إلى موضوع كتابة تاريخ العلوم وذلك كتمهيد لكتابة تاريخ الإعجاز في العلوم الاجتماعية. أشير إلى المرجعية الثقافية التي تحكم كتابة تاريخ العلوم وتحدد مساراتها . ولأن ما اكتبه هو لمجرد التعريف بهذا الموضوع فإن الأفكار الرئيسية التي أري عرضها تتلخص في الأفكار التالية :

1- لاشك أن كتابة تاريخ العلوم هو عمل علمي ، والأعمال العلمية يجب أن تحكمها الموضوعية، وتعني الموضوعية في هذا المجال ألا تنحاز كتابة تاريخ العلوم إلى حضارة معينة بتراثها الثقافي ، وبهذا نبرئ كتابة تاريخ العلوم من الانحياز ونجعلها تعتبر تجربة الإنسان في أي مكان وفي أي زمان .ويعني ذلك أنها تعتبر تجربة كل الحضارات .

2- الكتابة عن تاريخ العلوم رادها المسلمون في البداية ولكن بعد ذلك أصبح هذا في الغرب علما له. ترتب علي انفراد الغرب وحده بكتابة تاريخ العلوم نتيجة لها خطورتها ويجب أن تكون هذه النتيجة موضع

اهتمام ومحل دراسات كثيرة. كتب الغرب تاريخ العلوم من وجهة نظره ، وقراءة ما كتبة الغرب تقول صراحة وليس ضمنا إن كل العلوم بدأها الغرب وتواصل نماؤها فيه وأن التراكم في العلوم هو صناعة غربية .

الغرب وهو يكتب تاريخ العلوم أعطي أحكاما علي فترات تاريخية من وجهة نظره وليس من وجهة نظر الآخر. كتب الغرب في تاريخه للعلوم علي نحو عام أن الفترة الزمنية من القرن السادس الميلادي إلى القرن الخامس عشر الميلادي كانت فترة ظلام وهمجية وتأخر فكري . الغرب بهذا الذي كتبه وصف الحالة التي كان عليها ، و لم يكن الآخر ومنهم نحن المسلمين علي هذه الحالة. وما كتبه الغرب فيه خطورة تتعلق بالعقيدة ، وذلك لأن القرن السادس الميلادي الذي يعتبره الغرب بداية دخول البشرية إلى عصور الظلام هو القرن الذي شهد مولد سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم . وفترة الألف عام من القرن السادس الميلادي إلى القرن الخامس عشر التي اعتبرها الغرب عصور تدهور هي الفترة التي كانت فيها الحضارة الإسلامية ، وهذه الحضارة لها عطاؤها ومساهماتها في جميع العلوم وفي جميع مجالات الحياة ، والغرب ليس بمقدوره إنكار هذه الحقائق التاريخية .

3- بالإحالة إلى تخصص علمي معين وهو تخصص الاقتصاد – حيث هو تخصصي – كتب الغرب أن الفكر الاقتصادي بدأ في الحضارة اليونانية ممثلا في أفلاطون وأرسطو ، واكتسب أبعادا جديدة مع الإمبراطورية الرومانية، ثم انتكس في مرحلة العصور الوسطي ، وعادت له حيويته مع النهضة الأوروبية، إلى أن استوي هذا الفكر وأصبح علما في القرن الثامن عشر مع مساهمات أوروبية وأهمها مساهمة آدم سميث الملقب عندهم (أبو الاقتصاد) . والغرب بما كتبه عن الاقتصاد يتجاهل مساهمة المسلمين تشريعاً وفكراً والتي بدأت من القرن السابع الميلادي . وتواصل عطاء المسلمين في هذا التخصص العلمي إلى أن جاء ابن خلدون في القرن الخامس عشر الميلادي وأسس علم الاقتصاد .

4- تاريخ العلوم لا ينبغي أن يصنف كله باعتباره حديثاً عن الماضي وإنما هو حديث عن الماضي يتواصل ويؤسس لنهضة علمية معاصرة تستفيد من التراكم العلمي . ويمكن القول في هذا السياق إن دراسة التقدم العلمي هي دراسة في التراكم العلمي .

5- بعض العلوم لها خصوصية وذلك لأنها تكون تأصيلاً لموضوعات دين معين، ولذلك لا يقبل القول هنا بتفعيل العمومية الحضارية وإنما الذي يفعل هو الخصوصية الدينية ، ومن أمثلة ذلك في العلوم الإسلامية علوم القرآن الكريم وعلوم السنة النبوية المطهرة .

فيما يتعلق بالخصوصية الدينية لبعض العلوم أعرض موضوع الإعجاز في العلوم المعملية وذلك علي النحو الذي كتب به في السنوات الأخيرة. إن الربط الذي حدث بين هذا الإعجاز وبعض الاكتشافات العلمية في الغرب لا يمكن تصنيفه علي أنه تفعيل للحضارة الغربية في هذا العلم الإسلامي ، وإنما التصنيف الصحيح له هو أن الاكتشافات الغربية في العلوم المعملية توافقت مع ما جاء في القرآن الكريم . في هذا الصدد ينبغي أن

يذكر أيضاً أن الاكتشافات الغربية في العلوم التي ربطت بالإعجاز ليس لها أفضلية السبق ، وإنما القول الصحيح هو أن ما جاء في القرآن الكريم هو الذي له السبق ، وإن كان هذا السبق لم يعرف لأسباب تتعلق بحالة العلم في وقته، وكذلك لأسباب تتعلق بالتطور الحضاري بعد ذلك . وأختم موضوع الإعجاز في العلوم المعملية بالقول إن هذا الإعجاز ينبغي أن يكون حافزاً ووسيلة لأن يسبق المسلمون ببعض التطورات العلمية . أما كتابة تاريخ هذا الإعجاز فله خصوصيته المعقدة لأنه يجمع بين ما سبق به القرآن الكريم والمنجزات العلمية التي يتتابع ظهورها .

6- فيما يتعلق بالخصوصية الدينية في بعض العلوم أعرض أيضا الإعجاز القرآني في العلوم الاجتماعية :

أ- هذا النوع من الإعجاز ليس من طبيعته أن يقال إن العلم اكتشف شيئاً وثبت لنا أن القرآن الكريم سبق به ,وإنما طبيعة هذا الإعجاز هو اكتشاف النظام الاجتماعي الذي يعجز الإنسان أن يأتي بمثله. وهذا النظام الاجتماعي يمكن أن يكون في مجال التربية أو في مجال السياسة أو في مجال الاقتصاد أو فى غيرها من المجالات التي تعمل عليها العلوم الاجتماعية .

ب-من الخطورة الدينية أن يعتقد أن النظام الاجتماعي الذي يتضمنه القرآن الكريم يمكن أن يأتي الإنسان بمثله سابقاً أو يأتي به لاحقاً، والمنفي هنا هو أن يأتي الإنسان بنظام يتطابق تطابقا كاملا وكلياً مع ما جاء به القرآن الكريم ، وذلك لأن النظام الذي يكتشفه الإنسان قد توجد به عناصر تتطابق مع ما جاء في القرآن الكريم .

ج- توجد خطورة حضارية في موضوع النظم الاجتماعية، من الخطورة أن يعتقد أن نظاما اجتماعيا يضعه إنسان تفعيلا لثقافته الحضارية الخاصة – أن يعتقد أن هذا النظام قابل للتطبيق بكامله في حضارة أخري لها خصوصياتها الاجتماعية والثقافية والدينية وغيرها .

د- الإعجاز القرآني في العلوم الاجتماعية يعني أن النظام الاجتماعي الذي يتضمنه القرآن الكريم له صفة العالمية وأنه فوق الخصوصيات الحضارية، ويترتب علي ذلك أن هذا النظام له صلاحيته التطبيقية في كل الحضارات ، ويعطي نتائجه الإيجابية فيها .

7- كتابة تاريخ الإعجاز في العلوم الاجتماعية يأخذ في الاعتبار كل العناصر السابقة، والفكرة الرئيسية التي يتأسس عليها هذا الإعجاز هي أنه لا ينطلق من مقولة إن الإنسان اكتشف نظاماً اجتماعيا له كفاءته وإن القرآن الكريم سبق بذلك، وهذا التاريخ لا تفعل فيه النظم الاجتماعية للحضارات الأخرى .

8- تاريخ الإعجاز في العلوم الاجتماعية الذي اكتب عنه هنا هو تاريخ يبدأ من حيث ظهور هذا المصطلح ، أي مصطلح الإعجاز في مجالات العلوم الاجتماعية منذ أن بدأت الكتابة عن ذلك في سياق تفسير القرآن الكريم عندما بدأ التدوين في العلوم الإسلامية في العصور الأولي من تاريخ الإسلام . هذه ملاحظة أولي

في هذا السياق ، وملاحظة ثانية أن ما أكتبه مرتبط بالخبرة التي اكتسبتها من معايشتي لهذا الموضوع منذ أن بدأت الكتاب فيه وفي الفترة التي تحملت فيها مسؤولية إدارة مكتب الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة (مكتب القاهرة) . وأنا أكتب بهذه الخبرة فهذا يتضمن دعوة لكل من له صلة بهذا الموضوع أن يكتب ما يعرفه عن تاريخ إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في مجالات العلوم الاجتماعية .

9- المحطات الرئيسية في تاريخ الإعجاز في العلوم الاجتماعية كما عايشتها تجمع في المحطات التالية:

أ- عشت مع القرآن الكريم في الفترة من 1988 إلى 1994 م وأنا أشارك في مشروع التكشيف الاقتصادي للقرآن الكريم وهو مشروع تبناه المعهد العالمي للفكر الإسلامي (مكتب القاهرة) ، وبحمد الله سبحانه أنجزنا هذا التكشيف . وفي العام الذي أنجزنا فيه هذا العمل تلقيت دعوة للمشاركة في مؤتمر المصطلح في العلوم الإسلامية الذي عقد بالمملكة المغربية ، وكان الموضوع الذي شاركت به عن المصطلح الاقتصادي في القرآن الكريم وذلك كما جاء في موضوع تحريم الربا في سورة البقرة. أثناء إعدادي لهذا المشروع وفقني الله سبحانه وتعالي أن اكتشف أن القرآن الكريم يعالج موضوع تحريم الربا علي نحو يعجز الإنسان أن يأتي بمثله . ومنذ هذا الوقت خصصت الجزء الأكبر من جهدي البحثي لهذا الموضوع وبدأت الكتابة فيه تحت عنوان إعجاز القرآن الكريم في مجالات العلوم الاجتماعية .

ب-أعطيت اهتماما للتعريف بهذا النوع من الإعجاز في المؤسسات التي كنت علي صلة بها وبدأ ذلك في عام 1995 بالجامعة الإسلامية العالمية في إسلام أباد – باكستان ، وفي جامعة الأزهر بعد ذلك ، وفي جامعة اليرموك في عام 2001م.

ج- حتي عام 2005 م كانت الهيئات العاملة في مجال الإعجاز لا تقبل إلا البحوث الخاصة بالإعجاز في العلوم المعملية ، وكان هناك موقف غير إيجابي فيما يختص بالإعجاز في العلوم الاجتماعية .

د- في عام 2006 م تقابلت مع الأستاذ الدكتور عبد الله المصلح الأمين العام للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية – رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وكلمته بالتفصيل عن الإعجاز في العلوم الاجتماعية. وبناء علي المناقشات التي جرت بيننا رحب ببحوث في هذا النوع من الإعجاز، وبناء علي ذلك قبلت مشاركتي في المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي والذي عقد بدولة الإمارات في عام 2006 ببحث عن الإعجاز في الميراث وتفعليه فى العلوم الاجتماعية، وكذلك قبل بحث من الأستاذة الدكتورة كوثر الأبجي – نائب رئيس جامعة بني سويف في هذا الفرع الجديد وهو الإعجاز في العلوم الاجتماعية. وكانت هذه هي المرة الأولي التي تقبل فيها بحوث عن الإعجاز في العلوم الاجتماعية بالمؤتمرات العالمية التي تعقدها الهيئة .

ه- في عام 2008 م عقدت الهيئة مؤتمرها العالمي الثامن بدولة الكويت، وفي هذا المؤتمر اشتركت ببحث عن الإعجاز في العلوم الاجتماعية كما قبلت بحوث لأساتذة آخرين .

و- تعمقت واتسعت حركة الإعجاز في العلوم الاجتماعية وذلك عندما قبلت هذا النوع من الإعجاز لجنة الإعجاز التابعة لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، وتوج هذا الأمر بأن هذه اللجنة جعلت موضوع المسابقة العالمية الرابعة 1431 - 2010 التي تنظمها في موضوع الإعجاز في العلوم التربوية .

ز- بحمد الله سبحانه وتعالي منذ عام 2006م قبلت بحوث عن الإعجاز في العلوم الاجتماعية في المؤتمرات الإقليمية وفي أنشطة الهيئات العاملة في مجال الإعجاز ، كما أصبح هذا النوع من الإعجاز موضوعاً لرسائل للماجستير والدكتوراه .

المبحث الثانى : الإعجاز القرآنى فى تشريع الميراث وتوظيفه فى مجالات العلوم الاجتماعية

تمهيد

1- آيات تشريع الميراث جاءت كلها فى سورة النساء. ومجئ هذا التشريع بكامله فى سورة عنوانها سورة النساء يمكن أن يستنتج منه وجه من وجوه الإعجاز، وذلك لأنه عند تنزل آيات تشريع الميراث لم تكن هناك مشكلة فى ميراث الرجل، إنه يرث، بينما كانت المشكلة فى إعطاء الحق للمرأة أن ترث، وتاريخ المنطقة العربية عند تنزل تشريع الميراث يؤيد ذلك. لذلك أفهم الأمر على النحو الآتي: اقتضت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يكون تشريع الميراث فى سورة يعرفها المسلمون باسم سورة النساء وذلك لتوجيه رسالة لكل من الرجل والمرأة أن فى هذه السوره أمر هام يتعلق بالنساء

2- المنهج الذى أقدم به الإعجاز القرآني فى العلوم الاجتماعية هو منهج علم المناسبة ، ويعني ذلك أن ندرس موضوع الميراث بالآيات التى جاء فيها مربوطاً بموضوعات الآيات السابقة وكذلك مربوطاً بموضوعات الآيات التالية. هذا المنهج يستلزم أن ندرس سورة النساء بكاملها ويبين الارتباطات القائمة بين موضوع الميراث وكل الموضوعات التى جاءت فى سورة النساء. أقول مرات ومرات هذا هو المنهج المقبول. إلا أن هذا البحث باعتبار محدود فى مساحته استلزم أن نقصر البحث على الآيات من الآية الأولى إلى الآية الثانية والأربعين والسبب فى الوقوف بالدراسة عند هذه الآيات أن الآيتين 41 – 42 تتكلمان عن الآخرة ، وهذا الأمر يبرر لنا أن نجعل الآيات من 1-42 تمثل مقطعاً يستوعب أمور الدنيا وأمور الآخرة المتعلقة بالميراث.

3- معايشة الآيات 1 – 42 بمنهج علم المناسبة وباعتبار أن الميراث هو الموضوع محل الدراسة ، هذه المعايشة كشفت عن أن موضوع الميراث سبقته ثلاث موضوعات وجاءت تالية له ثلاث موضوعات. الجدول التالي يبين هذه الموضوعات.

موضوع الآيات 1 – 42

الآيات	الموضوع
1	وحدة النوع الإنساني
2 – 6	حماية الفئات الضعيفة وبخاصة الحماية الاقتصادية
7 – 10	قواعد كلية للميراث
11 – 14	أحكام الميراث مع بيان مكافأة الملتزم ومعاقبة المخالف
15 – 28	التربية الخلقية والعاطفية والاجتماعية لمجتمع الميراث
29 – 35	الحقوق والواجبات المكملة لتشريع الميراث
36 – 40	الإحسان فى مجتمع الميراث (إعادة توزيع الثروة فى مجتمع الملكية الخاصة)
41 – 42	اعتبار الآخرة

العنوان الذي اخترته لهذه الفقرة جاءت عبارة الإعجاز فى المنظومة القرآنية، والكلمة التي تحتاج إلى توضيح هى كلمة "المنظومة". معايشتنا للآيات 1 – 42 تكشف عن وجود رابطة بين مجموعات الآيات من حيث الموضوعات التى تعمل عليها. مع محاولة لفهم عميق لطبيعة هذه الرابطة يتبين أنها تكون منظومة لها طبيعتها وتكشف عن وجه إعجاز.

4- هذه الدراسة التى أقدمها عن الميراث فى سياق نوع من الإعجاز فى القرآن الكريم أبشر به وأدعو إليه وهو الإعجاز القرآني فى العلوم الاجتماعية. الميراث موضوع له أبعاده الاقتصادية ولذلك فإن إثبات الإعجاز القرآني فى هذا الموضوع هو إثبات للإعجاز القرآني فى الاقتصاد يصبح دليلاً على الإعجاز القرآني فى العلوم الاجتماعية. التحليل والمناقشة والمعايشة التي أقدمها فى هذا المبحث تدل على (نوع) الإعجاز القرآني فى العلوم الاجتماعية، إنه إعجاز يتلاءم مع طبيعة هذه العلوم، وهو بهذا إعجاز له طبيعته المتميزة والمتكاملة مع الإعجاز فى العلوم المعملية مثل علوم الطب وعلوم الأرض وعلوم الفضاء.

5- الإعجاز فى المنظومة المحورية الارتكازية

تكشف الدراسة للإعجاز القرآني فى الميراث عن أنه يجئ مسبوقاً بآيات تستهدف التربية والإعداد لتلقى هذا الموضوع، وكذلك يجئ متلوا بآيات متصلة به بهدف استكماله تربية وتنظيما وسلوكاً وإجراءات. على هذا النحو تكون آيات الميراث محوراً ارتكازياً للآيات السابقة عليها والتالية لها وهذا ما أسميه الإعجاز فى المنظومة.

قبل عرض هذه المنظومة فى الآيات التي نعايشها (1- 42) سورة النساء من الضروري الإشارة إلى أن هذه الفكرة، أى المنظومة يمكن أن يطبقها كل متخصص فى موضوع تخصصه: علم السياسة وعلم الاجتماع وعلم التاريخ .. بهذا أسبق بالرد على اعتراض قد يجئ على دراستى وهو أننى جعلت الميراث (الموضوع الاقتصادي) هو الموضوع المحورى الارتكازى للآيات المذكورة. إن كل موضوع فى أي تخصص يمكن اكتشاف منظومته المحورية الارتكازية، وعندما تستكمل المنظومات المحورية الارتكازية فى كل التخصصات نجد أنفسنا أمام إعجاز كلى للقرآن الكريم، إنه إعجاز فوق أن تعبر عنه أو تصفه كلمات. بعد هذا التعريف بالمنظومة المحورية الارتكازية نعايش الآيات 1 – 42 لاكتشاف أوجه الإعجاز فيها على اعتبار أن الميراث هو الموضوع المحورى الارتكازى.

المعايشة الأولى:

تعرض اللوحة البيانية (1) المنظومة المحورية الارتكازية للآيات التى نعايشها. أقدم قراءة لهذه اللوحة وحيث تكشف هذه القراءة عن أوجه إعجاز. تبدأ الآيات بالتربية على وحدة النوع الإنساني (الآية1). التربية على وحدة النوع الإنساني هى تربية عامة، ولذلك جاءت بعدها التربية على حماية الفئات الضعيفة (الآيات 2 – 6)، وقد استهدفت هذه الآيات على وجه خاص الحماية الاقتصادية. ولأن الأمر أصبح موجهاً توجيهاً اقتصادياً لذلك تلاءم معه أن تجئ الآيات (7–10) لتضع قواعد لواحد من أهم الموضوعات الاقتصادية وهو الميراث ، وحيث آيات الأحكام التفصيلية للميراث تالية مباشرة (11–14). الميراث تشريع اقتصادي يتعلق بالأسرة ولذلك جاءت الآيات 15-28 متضمنة تشريعات متعلقة بالأسرة التي طبقت الميراث من جوانب متعددة أخلاقية وعاطفية واجتماعية وحيث تعكس هذه التشريعات نفسها فى الميراث. وهذا يمثل مراجعة للمجتمع الذي طبق فيه الميراث وسيلة من وسائل اكتساب الثروة ولذلك جاءت الآيات 29 – 35 للتربية على اكتساب الثروة بالعمل مع تشريعات اقتصادية متعلقة بالأسرة من حيث الحقوق والواجبات الاقتصادية. وهكذا ترتبط الآيات 15 – 28 والآيات 29 – 35. اكتساب الثروة قد لا يستطيعه كل شخص لسبب لا يمكنه دفعه ولذلك جاءت الآيات 36 – 40 بأشمل تشريع للإحسان مع النوع الإنساني مشتملاً على

الإحسان المالى وذلك فى المجتمع الذى طبق الميراث حيث تقرير الملكية الخاصة. تجئ الآيتان 41 – 42 لتحدث التوازن فى تربية إنسان القرآن باعتبار الآخرة، ويمثل هذا التوازن وجه إعجاز جديد لأنه يجعل متلقي تشريع الميراث يتوازن بين الدنيا والآخرة.

المعايشة الثانية

أقدم فى هذه الفقرة المعايشة الثانية للمنظومة المحورية الارتكازية والتى تتأسس على أن الميراث هو الموضوع المحورى الارتكازى. أعرض هذه القراءة فى اللوحة البيانية.

تضمنت الآية (1) التربية على وحدة النوع الإنساني ، وتضمنت الآيات 36-40 التربية على الإحسان إلى النوع الإنساني، هذان الموضوعان يرتبطان ويتكاملان معاً. التربية على وحدة النوع الإنساني هى وعاء وأساس للتربية على الإحسان مع النوع الإنساني. إنسان القرآن الذي يؤمن بأن الناس جميعاً من أصل واحد يستجيب فورياً وتلقائياً عندما يؤمر بالإحسان مع أفراد هذا النوع الإنساني. على هذا النحو يرتبط موضوع الآية (1) بموضوع الآيات 36 – 40. إنسان القرآن الذي ربى هذه التربية الإنسانية العامة الكاملة هو الذى تنزل له تشريع الميراث فى الآيات 7-14. عندما نفهم ونستوعب الربط والتكامل بين موضوع الآيات 36 – 40 والآيات 7 – 14 على هذا النحو فإن كل الادعاءات ضد الميراث تنقض، الادعاء ضد الميراث بأنه يولد فى الإنسان نزعة الأنانية والانغلاق على أسرته الضيقة التى يهتم بأن تكون وارثة لثروته – هذا الادعاء يسقطه القرآن الكريم وينقضه بالتربية على وحدة النوع الإنساني والإحسان مع أفراده. هذا هو وجه للإعجاز القرآني فى هذه المنظومة المحورية الارتكازية. أحاول أن ألخص هذا الوجه الإعجازي: تشريع الميراث فى القرآن الكريم يقوم بتطبيقه إنسان قد تم تحصينه ضد نزعة الأنانية المرضية التي قالوا إن الميراث يولدها. هذا الوجه الإعجازى يظهره المحور (1) فى اللوحة البيانية (2).

الموضوع الاقتصادي فى الآيات 2-6 هو التربية على الحماية الاقتصادية للفئات الضعيفة والموضوع الاقتصادي فى الآيات 29 – 35 هو التربية على اكتساب الثروة بطرق مشروعه. أرى أن أذكر هنا بأن إنفاق الزوج على زوجته هو اكتساب لثروة بطريقة مشروعة. يتبين أن موضوع الآيات 2-6 يرتبط ويتكامل مع موضوع الآيات 29 – 35. لقد تضمنت مجموعتا الآيات تربية اقتصادية متكاملة من حيث نزع عوامل الاستغلال الاقتصادي من نفس إنسان القرآن ومن سلوكه، ومن حيث تربيته على اكتساب الثروة بوسائل مشروعة، وكذلك من حيث أنها تضمنت حقوقاً وواجبات اقتصادية داخل الأسرة تتكامل مع الميراث. إنسان القرآن الكريم ربته الآيات 2-6 بحيث خلصته من الشر الاقتصادي المتمثل فى الاعتداء على الغير وربته الآيات 29-35 بحيث أكسبته وأفرغت فيه وزودته بأن يعتمد على نفسه وبوسائل مشروعة فى اكتساب الثروة

وكذلك الحقوق والواجبات المتكاملة داخل الأسرة. إنسان القرآن الكريم الذي ربى هذه التربية الاقتصادية بشقيها هو الذي خوطب بتشريع الميراث فى الآيات 7-14. والأمر على هذا النحو معجز، معجز من حيث عنصري التربية الاقتصادية وترتيبهما ، ومعجز من حيث ربط هذه التربية الاقتصادية بالميراث. إنسان القرآن الكريم الذي نزل له القرآن الكريم بتشريع الميراث ويقوم على تطبيقه قد ربى تربية تضمن تحصينه ضد الانحرافات التي يمكن أن يقول بها أعداء الميراث. إنهم قد يقولون إن الميراث يولد عند الشخص النزعة فى استغلال الآخرين. إنسان القرآن الكريم قبل أن يخاطب بتشريع الميراث تولى القرآن تربيته بحيث أصبح إنساناً مفرغاً ومخلصاً من غريزة الاعتداء الاقتصادي على الآخرين. وقد يقول أعداء الميراث أيضاً إن الميراث يخلق طبقة من العاطلين بالوراثة بحيث لا تحب العمل لأنها ورثت ثروة وقد تكون كبيرة. الآيات التي تنزلت بتشريع الميراث استكملت بآيات تربى إنسان ميراث القرآن على أن يعمل ويكتسب الثروة بوسائل مشروعة. وكذلك تقول لنا الآيات إن المرأة بجانب حقها فى الميراث وفى العمل فإن هناك القوامة بدلالاتها الاقتصادية. هذا الوجه الإعجازى يعرضه المحور (2) فى اللوحة البيانية (2). إنه إعجاز من حيث التناسب والارتباط والتكامل بين موضوع مجموعتي الآيات 2-6 و 7-14، ويدخل معها الآيات 15-28 باعتبارها تكمل التشريعات العاملة على الأسرة وكذلك الآيات 29-35.

المعايشة الدقيقة لهذا الوجه الإعجازى تكشف عن أنه يحمل فى ثناياه وجه إعجاز آخر، هذا الوجه الإعجازى الجديد يتمثل فى الترتيب بين عنصري التربية الاقتصادية السابقة واللاحقة للميراث، وكذلك فى ترتيب الميراث بين عنصرى التربية الاقتصادية. القرآن الكريم خلص أولاً إنسان القرآن من الوسائل غير المشروعة لاكتساب الثروة ثم بعد ذلك ملأه بالوسائل المشروعة لاكتساب الثروة ثم استكمل تزويده بالوسائل المشروعة لاكتساب الثروة بالعمل وبغيره.

إدخال الآيتين 41-42 فى التحليل يضيف وجه إعجاز جديد. موضوع الآيتين هو أمر الآخرة، وبهذا يكتمل التوازن فى إنسان القرآن الكريم، وهو توازن بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة.

المعايشة الثالثة

الجديد فى هذه المعايشة الثالثة: موضوع الآيات 7-10 التربية على القواعد الكلية المنظمة للميراث بين الذين يرثون وموضوع الآيات 15-28 التربية على أمور كلية لحماية الأسرة وفيها قواعد أخلاقية وقواعد اقتصادية وقواعد عاطفية وقواعد اجتماعية. موضوعا مجموعتى الآيات مرتبطان ومتكاملان وهذا الارتباط وهذا التكامل يحمل وجه إعجاز: الذين خوطبوا بقواعد الميراث واكتسبوا حقوقاً اقتصادية بها خوطبوا فى نفس الوقت بقواعد الحماية الأسرية ومنها قواعد أخلاقية وقواعد اقتصادية وقواعد عاطفية وقواعد اجتماعية ،

والذين كسبوا من القواعد الأولى عليهم الالتزام بالقواعد الثانية. وأيضاً الذين ميزوا فى القواعد الأولى (الرجال) عليهم الالتزام بالتعويض الذي جاء فى القواعد الثانية للفئة الأخرى (النساء). الارتباط على هذا النحو يحمل وجه إعجاز.

هذا الوجه الإعجازى يولد وجه إعجاز آخر عندما ندخل أحكام الميراث (الآيات 11-14) فى الاعتبار، الذين تربوا على هذا القواعد بنوعيها هم الذين شرع لهم الميراث ويطبقونه. القواعد الأولى زودت الأسرة بالمعايير التي تتصرف بها فى الثروة الموروثة والقواعد الثانية عملت استكمالاً وتعويضاً اقتصادياً مع قواعد أخلاقية تحصينية حمائية للأسرة. المحور (3) فى اللوحة البيانية (3) يظهر هذا الوجه الإعجازى. وهذا الوجه الإعجازى يتأكد أو يتولد منه وجه إعجاز جديد عندما نأخذ الآيات 7-28 كتلة واحدة. هذه الآيات مأخوذة معا بكل ما فيها من حقوق والتزامات أسرية تحقق العدل بين الرجل والمرآة. الأمر على هذا النحو يكون معجزاً فى ذاته ومعجزاً من حيث أنه يتضمن رداً على الذين قد ينتقدون الميراث كما جاء فى القرآن الكريم.

هذا التداخل بين موضوعات مجموعات الآيات الثلاث جعلته يظهر فى اتجاه سهم المحور (3) حيث يصب فى الميراث، وقد جعلت هذا المحور يلتقى فى داخل المستطيل الذى تظهر فيه آيات الميراث وذلك للإشارة إلى أن الآيات 7-28 تمثل كتلة واحدة.

على نحو ما قلته فى المعايشتين السابقتين أقول هنا أيضاً إن الآيتين 41-42 تدخلان الآخرة فى الاعتبار، وبهذا يتوازن إنسان القرآن الكريم بين اعتبار الدنيا واعتبار الآخرة وهذا وجه إعجاز.

اللوحة البيانية (1)

الإعجاز القرآني فى السلسلة المحورية المتتابعة

الآيات 1 – 42 (المعايشة الأولى)

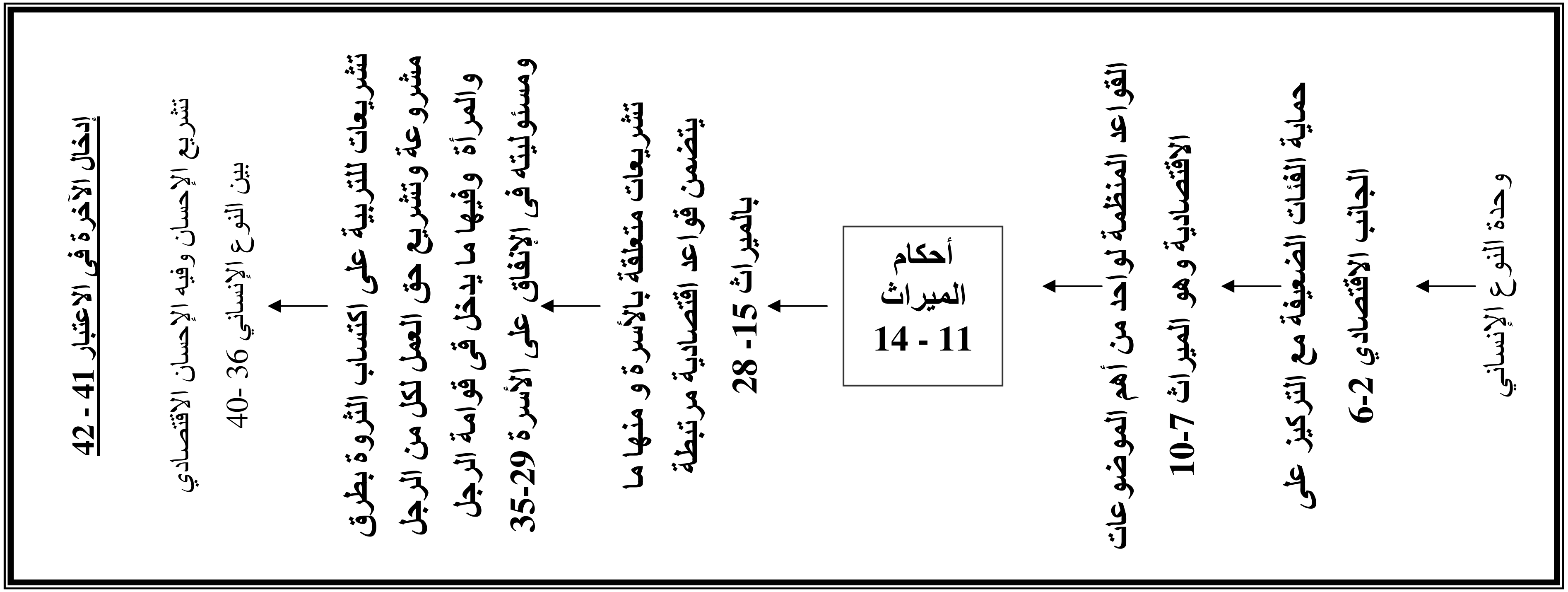

وحدة النوع الإنساني

حماية الفئات الضعيفة مع التركيز على الجانب الاقتصادي 6-2

القواعد المنظمة لواحد من أهم الموضوعات الاقتصادية وهو الميراث 10-7

أحكام الميراث 11 - 14

تشريعات متعلقة بالأسرة و منها ما يتضمن قواعد اقتصادية مرتبطة بالميراث 15- 28

تشريعات التربية على اكتساب الثروة بطرق مشروعة وتشريع حق العمل لكل من الرجل والمرأة وفيها ما يدخل فى قوامة الرجل ومسئوليته فى الإنفاق على الأسرة 35-29

تشريع الإحسان وفيه الإحسان الاقتصادي بين النوع الإنساني 36 -40

إدخال الآخرة فى الاعتبار 41 - 42

اللوحة البيانية (2)

الإعجاز القرآني فى السلسلة المحورية الإرتكازية

الآيات 1 – 42 (المعايشة الثالثة)

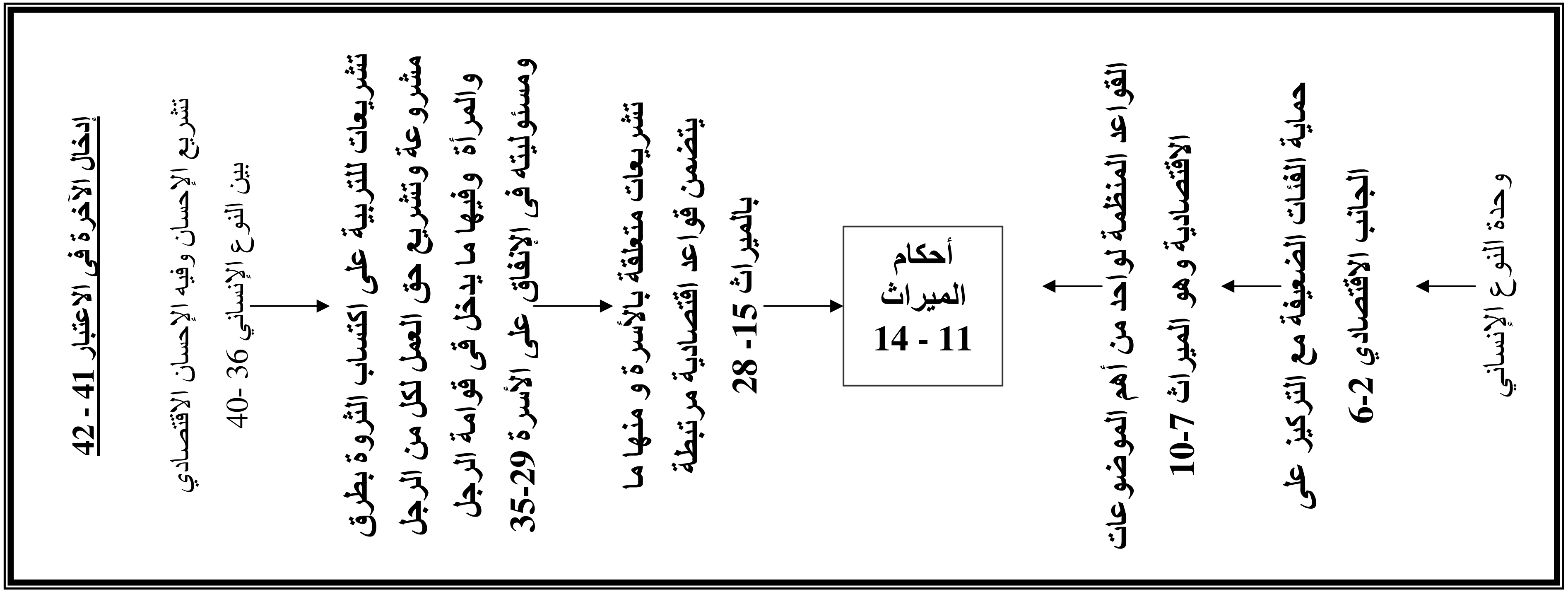
وحدة النوع الإنساني
حماية الفئات الضعيفة مع التركيز على الجانب الاقتصادي 6-2
القواعد المنظمة لواحد من أهم الموضوعات الاقتصادية وهو الميراث 7-10
أحكام الميراث 11 - 14
تشريعات متعلقة بالأسرة و منها ما يتضمن قواعد اقتصادية مرتبطة بالميراث 15- 28
تشريعات للتربية على اكتساب الثروة بطرق مشروعة وتشريع حق العمل لكل من الرجل والمرأة وفيها ما يدخل فى قوامة الرجل ومسئوليته فى الإنفاق على الأسرة 29-35
تشريع الإحسان وفيه الإحسان الاقتصادي بين النوع الإنساني 36 -40
إدخال الآخرة فى الاعتبار 41 - 42

اللوحة البيانية (3)

الإعجاز فى السلسلة المحورية الإرتكازية

الآيات 1 – 42 (المعايشة الثالثة)

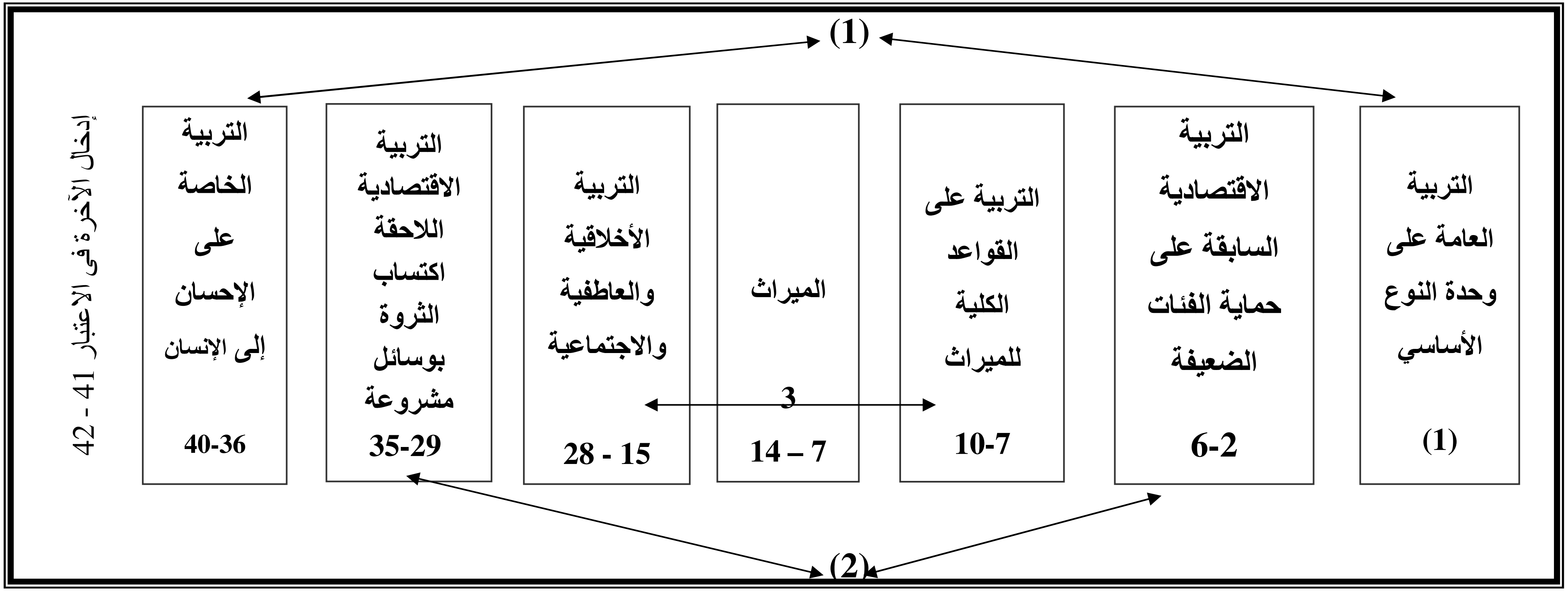
(1)
التربية العامة على وحدة النوع الأساسي
(1)
التربية الاقتصادية السابقة على حماية الفئات الضعيفة
6-2
التربية على القواعد الكلية للميراث
10-7
الميراث
3
14 – 7
التربية الأخلاقية والعاطفية والاجتماعية
28 - 15
التربية الاقتصادية اللاحقة اكتساب الثروة بوسائل مشروعة
35-29
التربية الخاصة على الإحسان إلى الإنسان
40-36
إدخال الآخرة فى الاعتبار 41 - 42
(2)

نتائج المبحث الثاني

أولاً: أوجه إعجاز القرآن الكريم فى الميراث

عقد هذا البحث لاكتشاف إعجاز القرآن الكريم فى الميراث وذلك باستخدام فكرة المنظومة وبمنهج علم المناسبة. وبناء على ما تضمنه فإن أوجه إعجاز القرآن الكريم فى الميراث تجمع فى الأوجه التالية:

1- القرآن الكريم وهو يعرض تشريع الميراث أخبر بأمور غيبية تتمثل فى آراء قالها حديثاً منتقدو الميراث أو الرافضون له أو الذين يمكن أن يرفضوه بعد نزول القرآن الكريم بقرون طويلة وهذا وجه إعجاز.

2- يعالج القرآن الكريم تشريع الميراث فى منظومة كلية شاملة لكل العناصر التى لها ارتباط بالموضوع، وبحيث يعجز العقل البشري عن أن يأتي بمثل هذه المنظومة وهذا وجه إعجاز.

3- القرآن الكريم وهو يعرض تشريع الميراث عالجه فى منظومة تستوعب ما يتعلق بالدنيا وما يتعلق بالآخره، وقد جاءت هذه المنظومة على نحو يعجز العقل البشري أن يأتى بمثلها وهذا وجه إعجاز.

4- القرآن الكريم وهو يعرض تشريع الميراث جاء به فى منظومة تستوعب العناصر المادية والعناصر الروحية المعنوية على نحو يعجز العقل البشرى أن يأتي بمثلها وهذا وجه إعجاز.

5- القرآن الكريم وهو يعرض تشريع الميراث جاء به فى منظومة تجمع فى ملائمة بين العموم والخصوص على نحو يعجز العقل البشرى أن يقيم تلاؤما يناظره وهذا وجه إعجاز.

6- القرآن الكريم وهو يعرض تشريع الميراث جاء به على نحو يشكل من خلاله عقلية الإنسان بحيث يصبح مالكاً لقدرات عقلية مؤهلة للتعامل الصحيح مع الحياة وهذا وجه إعجاز.

7- القرآن الكريم وهو يعرض تشريع الميراث جاء به على نحو يشكل من خلاله عواطف الإنسان وأحاسيسه ووجدانه بحيث يكون إنساناً سوياً فى انفعالاته وهذا وجه إعجاز.

8- القرآن الكريم وهو يعرض تشريع الميراث جاء به فى سياق يخلصه من جميع السلبيات التي تلحق بنفس هذا الموضوع إذا وضعه الإنسان لنفسه وهذا وجه إعجاز.

9- القرآن الكريم وهو يعرض تشريع الميراث صاغه وجاء به فى سياق بحيث ينتج الآثار الإيجابية المطلوبة مجمعاً لها فى تلاؤم بينما يعجز فكر الإنسان عن تحقيقها لأنه يراها متعارضة وهذا وجه إعجاز.

10- القرآن الكريم وهو يعرض تشريع الميراث أنشأ معه وحدات اجتماعية تشبع جميع معايير الأمثلية وحيث يعجز العقل البشري أن ينشئ مثلها وهذا وجه إعجاز.

11- القرآن الكريم وهو يعرض تشريع الميراث جاء به على نحو يشبع جميع معايير الأمثلية ومنها عدالة التوزيع لكل من الدخل والثروة ، وكفاءة التراكم لكل من الثروة ورأس المال، وأمثلية التخصيص لكل

من عنصرى العمل والموارد الاقتصادية المادية. كل هذا يتم فى منظومة تتفاعل وتتناغم لتحقيق إعمار الأرض واستخلاف الإنسان فيها وهذا وجه جامع للإعجاز القرآني فى الميراث.

ثانياً: إعجاز القرآن الكريم فى الاقتصاد

الميراث له تداخلاته مع كثير من العلوم ، لكن له ارتباطه الواضح مع الاقتصاد. هذا الارتباط بين الميراث والاقتصاد هو سبب مقبول لتصنيف أوجه إعجاز القرآن الكريم فى الميراث التي سبق ذكرها على أنها إعجاز قرآني فى الاقتصاد. وبهذا تصبح دراسة إعجاز القرآن الكريم فى الميراث نموذجاً لدراسة الإعجاز القرآني فى الاقتصاد. ويكون ما اكتشف من أوجه إعجاز قرآني فى الميراث دليلاً على وجود إعجاز قرآني فى الاقتصاد.

ثالثاً: إعجاز القرآن الكريم فى العلوم الاجتماعية

الاقتصاد أحد العلوم الاجتماعية وإثبات وجود إعجاز قرآني فى الاقتصاد هو دليل على وجود إعجاز قرآني فى هذه العلوم. هذا الموضوع وهو إعجاز القرآن الكريم فى العلوم الاجتماعية هو نوع الإعجاز الذى أبشر به وأدعو إليه.

رابعاً: بين الإعجاز القرآني فى العلوم الاجتماعية والعلوم المعملية

توضع العلوم فى تصنيفات متعددة، من هذه التصنيفات علوم اجتماعية وعلوم معملية. من العلوم الاجتماعية الاقتصاد والإدارة والسياسة والتربية والتاريخ. ومن العلوم المعملية الطب وعلوم الأرض وعلوم الفضاء.

العلوم المعملية تخضع للتجربة ، ولذلك يقبل القول فيها بالحقائق العلمية وبسبب ذلك قبل القول بالإعجاز القرآني فيها.

العلوم الاجتماعية لها طبيعتها ، ولذلك فإن الإعجاز القرآني فيها له طبيعته. ما ذكرناه من أوجه إعجاز قرآني فى الميراث هو نموذج للإعجاز القرآني فى العلوم الاجتماعية. يترتب على ذلك أن في القرآن الكريم إعجازاً فى نوعى العلوم؛ الاجتماعية والمعملية، وأن الإعجاز فى كل واحد منهما له طبيعته، وأن نوعى الإعجاز يتكاملان.

المبحث الثالث: تشريع الميراث والأمور الخارقة للعادة في مجالات العلوم الاجتماعية

تمهيد

1- هذا المبحث يرتبط ارتباطاً وثيقا بالمبحث الثاني ، حيث أن عنوان المبحث الثاني الإعجاز فى الميراث وعنوان هذا المبحث الثالث الأمور الخارقة للعادة فى الميراث ، ومن المعروف أن تعريف الأعجاز هو الأمور الخارق للعادة . الأمر علي هذا النحو يلزم له توضيح ، الهدف في المبحث الثاني كان اكتشاف أوجه الإعجاز في تشريع الميراث مع بيان كيفية تفعيلها في مجالات العلوم الاجتماعية، أما المبحث الثالث فإن الهدف فيه هو بيان كيف أن أوجه الإعجاز التي اكتشفتها في تشريع الميراث هى أمور خارقة للعادة، والعادة المتحدث عنها هي العادة المتعلقة بمجالات العلوم الاجتماعية .

2- هذا المبحث الثالث له صلته أيضاً بالمبحث الأول. تضمن المبحث الأول في إحدي فقراته تعريفاً بالأمور الخارقة للعادة الاجتماعية مع إعطاء أمثلة لهذه الأمور ، ويمكن القول ان هذه الأمثلة أعطيت علي سبيل التنظير. أما هذا المبحث الثالث فإنه سوف يتناول الأمور الخارقة للعادة الاجتماعية بالتطبيق علي تشريع الميراث ، إن هذا المبحث الثالث بمثابة تطبيق عملي علي التأصيل النظري الذي تم في المبحث الأول .

3- كلمة ثالثة عن هذا المبحث الثالث ، ما سوف يتضمنه هذا المبحث هو في حقيقته نتائج للبحث تتكامل مع نتائج المبحث الثاني . ولذلك يمكن القول إن هذا البحث ارتقي بالنتائج من حيث تصنيفها بحيث جعلها مبحثا من مباحثه . وهذا الأمر يجد سنده أو حجته في أن موضوع هذا البحث جديد ، ولذلك صنفت النتائج علي هذا النحو أو وضعت بهذا المنهج .

بعد هذا التمهيد وبناء عليه أعمل علي بيان الأمور الخارقة للعادة في مجالات العلوم الاجتماعية وذلك بالإحالة إلى تشريع الميراث علي نحو ما عرضته في المبحث الثاني

أولاً: منظومة الميراث جاءت على نحو خارق للعادة من حيث الثقافة العلمية

بمنهج علم المناسبة عايشنا الآيات 1 -42 فى سورة النساء وهى الآيات التى جاءت بها أحكام الميراث. وتبين من هذه المعايشة أن موضوعات هذه الآيات تكون منظومة وبحيث أن هذه المنظومة تتوافر فيها الخصائص التالية:

1- تشمل المنظومة على جميع الموضوعات التى يمكن أن ترتبط بموضوع الميراث.

2- موضوعات المنظومة مترابطة من الموضوع الأول إلى الموضوع الأخير.

3- موضوعات المنظومة لها محور تدور عليه وهو موضوع الميراث.

4- موضوعات المنظومة متداخلة ومتشابكة بما يوظف توظيفا إيجابيا فى موضوع الميراث.

مجئ الميراث فى منظومة على هذا النحو الموضوعي هو أمر خارق للعادة العلمية ، أى لما كان عليه العلم فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم بل وحتى فى عصرنا.

ثانيا: مجئ منظومة الميراث علي نحو خارق للعادة من حيث الثقافة المنهجية

منظومة موضوعات الميراث التي تم اكتشافها في المبحث الثاني بينت أن القرآن الكريم يوجه إلى أن الميراث له ارتباطاته التالية :

1- يرتبط الميراث بالمجتمع الإنساني وبالمجتمع المحلي وبالأسرة .
2- يرتبط الميراث بالعناصر المادية والعناصر الأخلاقية .
3- يرتبط الميراث بالعناصر العاطفية .
4- يرتبط الميراث بالعناصر الاجتماعية .

مجئ الميراث علي هذا النحو أمر خارق للعادة من حيث الثقافة المنهجية في عصر تنزل التشريع ، بل ولا يزال أمرا خارقاً للعادة من حيث الثقافية المنهجية في عصرنا .

ثالثا : مجئ ميراث المرأة علي نحو خارق للعادة من حيث الثقافة الاجتماعية

معايشة تشريع الميراث كما جاء في آيات سورة النساء تبين أن المرأة أصبحت وارثة وترث علي النصف من الرجل أو مساوية له. تشريع ميراث المرأة علي وجه العموم وتشريعه علي النحو الذي جاء به هو أمر خارق للعادة الاجتماعية في العصر الذي تنزل فيه التشريع ، بل لا يزال أمرا خارقاً للعادة الاجتماعية في كثير من المجتمعات .

رابعاً : مجئ موضوعات منظومة الميراث علي نحو خارق للعادة من حيث الثقافة القانونية .

آيات الميراث بينت أنه توجد حقوق وواجبات متقابلة بين أفراد الأسرة ومن هذه الحقوق :

1- حق المهر للمرأة .
2- حق الميراث لكل من الرجل والمرأة .
3- حق العمل لكل من الرجل والمرأة .
4- واجب الرجل في الإنفاق علي المرأة / الزوجة .

هذه حقوق وواجبات متكاملة ، ومجيئها في منظومة موضوعات الميراث ، وكذلك مجيئها علي النحو الذي جاءت به يعتبر أمر خارقاً للعادة الثقافية القانونية التي تتحدث عن الحقوق والواجبات .

خامساً : مجئ موضوعات منظومة الميراث علي نحو خارق للعادة من حيث الثقافة الاقتصادية .

موضوعات منظومة الميراث بها أكثر من موضوع له دلالة اقتصادية، وسوف أختار للمعايشة موضوع الآيات 36 - 40 . موضوع هذه الآيات هو الإحسان المادي ويمكن أن يشمل أيضاً الإحسان المعنوي . ربط موضوع الإحسان بموضوع الميراث يحمل الدلالات الاقتصادية التالية :

1- الميراث من خصائص النظام الاقتصادي الذي يعترف بالمكية الخاصة ويطبقها .

2- مجتمع الملكية الخاصة الذي هو مجتمع الميراث من خصائصه أن توجد فيه فئات لا تحصل علي دخل أو تحصل علي دخل ولكنه لا يكفيها، وكذلك لا تملك ثروة كلية أو ثروة لا تكفيها .

3- هذا المجتمع الذي يعاني من هذا التفاوت الاقتصادي يلزم له إجراءات تكافلية تعمل علي إعادة توزيع الدخل أو الثروة .

منظومة الميراث بمنهج علم المناسبة ربطت بين موضوع الميراث وموضوع الإحسان وهو إجراء تكافلي يتضمن إعادة توزيع للدخل أو للثروة . هذا الأمر علي هذا النحو خارق للعادة من حيث الثقافة الاقتصادية عند تنزل تشريع الميراث .

كذلك فإن معايشة الآيات 1-42 وتسكين الإحسان الوارد في الآيات 36-40 وهو يتضمن إجراء تكافليا لإعادة توزيع الدخل أو الثروة – هذه المعايشة تكشف عن أن المعالجة الاقتصادية لهذا الموضوع علي هذا النحو أمر خارق للعادة من حيث الثقافة الاقتصادية في جميع العصور حتي في العصر الحالي .

يضاف إلى ذلك بعد ثالث في الأمر الخارق للعادة من حيث الثقافة الاقتصادية، أي الإعجاز الاقتصادي. وهذا الأمر نكتشفه عند معايشة الآيات 36-40هذه الآيات تضمنت تحليلا نفسيا معجزا للغني ولأسلوبه في الحياة. وعرض هذا الموضوع علي هذا النحو وكذلك ربطه بإقرار الملكية الخاصة هو أمر خارق للعادة من حيث الثقافة الاقتصادية في عصر الرسول صلي الله عليه وسلم وفي عصرنا الذي نعيشه الآن .

سادساً : مجئ موضوعات منظومة الميراث علي نحو خارق للعادة من حيث الثقافة التربوية .

جاءت أحكام الميراث في الآيتين 11و 12 ، وتضمنت الآية 13 بيان مكافأة الملتزم بهذا التشريع ، كما تضمنت الآية 14 بين عقوبة المخالف لهذا التشريع .

تضمنت الآيات 1-10 تربية مسبقة للذي سوف يخاطب بتشريع الميراث ، وعناصر هذه التربية ثلاثة؛ التربية علي وحدة النوع الإنساني في الآية 1 ، والتربية علي حماية الفئات الضعيفة في الآيات 2-6 ، والتربية علي القواعد الكلية للميراث في الآيات 7-10 .

هذه التربية بمستوياتها الثلاثة هي تربية تؤهل الشخص الذي يتلقي تشريع الميراث، وهذه التربية بطبيعتها من حيث أنها مؤهلة علمنا القرآن الكريم أنها يجب أن تكون سابقة علي عرض الموضوع المتعلقة به وهو الميراث .

تضمنت الآيات 15-40 ثلاثة مستويات للتربية ، وهي : التربية الأخلاقية والعاطفة والاجتماعية للأسرة التي طبق فيها الميراث وجاء هذا في الآيات 15-28 ، والتربية علي اكتساب المال بوسيلة مشروعة ، ومعها التربية علي الحقوق والواجبات المالية داخل الأسرة ، وجاء هذا في الآيات 29-35. وتربية الغني علي الإحسان مع تحليل سلوكياته وهو ما يلزم لمجتمع الميراث حيث الملكية الخاصة وما يلازمها من تفاوت في الدخول والثروات ووجود فئات في حاجة للمساعدة وجاء ذلك في الآيات 36-40 هذه التربية بمستويات الثلاثة علمنا القرآن الكريم أن الملائم لها أن تكون تربية لاحقة علي تنزل آيات تشريع الميراث والإخبار بموضوعه .

مجئ التربية في موضوعات منظومة الميراث علي هذا النحو الذي وصف هو أمر خارق للعادة من حيث الثقافة التربوية في عصر الرسول صلي الله عليه وسلم مع تنزل التشريع ، ولا يزال هذا الأمر علي هذا النحو خارقا للعادة من حيث الثقافة التربوية في عصرنا الذي نعيشه وهذا بالرغم من التقدم الذي حدث في علوم التربية .

سابعا: منظومة الميراث أمر خارق للعادة من حيث صياغة نظام اجتماعي

العناصر الستة السابقة والتي تمثل أمورا خارقة للعادة من حيث المجالات التي عملت عليها وهي .

1- الثقافة العلمية (العادات العلمية)
2- الثقافة المنهجية (العادات المنهجية)
3- الثقافة الاجتماعية (العادات الاجتماعية)
4- الثقافة القانونية (العادات القانونية)
5- الثقافة الاقتصادية (العادات الاقتصادية)
6- الثقافة التربوية (العادات التربوية)

مجئ تشريع الميراث بمنظومته علي هذا النحو هو أمر خارق للعادة من حيث صياغة نظام أو تشريع نظام أو تقنين نظام ، إنه أمر خارق للعادة من حيث النظم التي يعيش فيها وبها الإنسان . وأقول بيقين كامل إن الإنسان لا يستطيع أن يؤلف نظاما علي هذا النحو ، وحتي بعد أن يتعلم الإنسان هذا النظام من القرآن الكريم فإنه لا يستطيع أن يضع نظاماً علي مثاله ، وإنما يظل النظام الذي وضعه القرآن الكريم هو أمر خارق للعادة التي لا يصل إليها الإنسان أيا كان مستوي تطوره العلمي .

والحمد لله رب العالمين .